القاعدة الخامسة

في ابطال مذهب[٩] التعطيل وبيان وجوه[١٠] التعطيل

وقد قيل ان التعطيل ينصرف الى وجوه[١٠] شتى[١١] فمنها تعطيل الصنع عن الصانع ومنها تعطيل الصانع [٥]عن الصنع[٥] ومنها تعطيل الباري سبحنه عن الصفات[١٢] الازلية الذاتيـة[١٢] القايمة بذاته[١٢] ومنها تعطيل الباري سبحانه عن الصفات والاسماء ازلًا ومنها تعطيـل ظواهر[١٤] الكتاب والسنة عن المعاني التي دلت[١٥] عليها ١٥٨

اما تعطيل العالم عن الصانع العالم[١] القادر الحكيم فلست اراهـا مقالة لاحد[٢] ولا اعرف عليه صاحب مقالة الا ما نقـل عن شرذمة قليلة من[٢] الدهرية[٢] انهم قالوا العالم كان في الازل اجزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة واصطكت اتفاقاً فحصل[٤] عنها العالم بشكله الذي

---

٩) ب بيان — ١٠) ب وجود — ١١) ب شبين — ١٢) ب الاوصاف — ١٣...١٣) ب ف ـ ا في الهامش ز والمعنوية — ١٤) ف جواهر — ١٥) ب دل

١٥٨ — ١) ب ف العليم — ٢) ب ف ـ — ٣) ف الدهر — ٤) ب فحدث عنه —

تراه عليه ودارت الاكوار وكرت الادوار وحدثت المركبات ولست ارى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع بل هو معترف بالصانع لكنه يحيل[٦] سبب وجود العالم على البحث والاتفاق احترازاً عن التعليل فما عددت[٧] هذه المسئلة من النظريات التي يقام عليها برهان فان الفطر[٨] السليمة[٩] الانسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم[١٠] عالم قدير[١٠] أفي الله شك[٢] فاطر السموات والارض[٢] وَلَئِن[١١] سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَكُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ وان هم غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء[١٢] فلا شك انهم يلوذون اليه في حال الضراء[١٣] دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَإِذَا مَسَّكُمُ[١٤] ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وانما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك[١] امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله[٢] ولهذا جعل[٢] محل النزاع بين الرسل وبين الخلق في التوحيد ذلك بانه اذا دُعي الله وحده كفرتم[٤] وان يشرك به تؤمنوا الاية[٤] وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا

١٥٩ وقد سلك المتكلمون طريقين[٦] في اثبات الصانع تعالى وهو

---

٥) ف فن — ٦) ا دالا على يُحيل ف تحيـل — ٧) ب عدت — ٨) ف الفطرة ب النظرة — ٩) ف ـه — ١٠) ب ف قـادر عليم — ١١) سورة ٤٣, ٨٧ و٨ — ١٢) ب السرى ا الاسرا — ١٣) سورة ١٠, ٢٣ و١٧, ٦٩ — ١٤) ف ـه

١٥٩ — ١) ب شرك — ٢) ب ز فاعلم انه لا الله الا الله — ٣) ب ز في — ٤...٤) ب ف ـه — ٥) ١٧, ٤٩ — ٦) ب طريقا —

الاستدلال بالحوادث على محدث صانع وسلك الاوايل طريقاً اخر وهو الاستدلال بامكان الممكنات على مرجح لاحد طرفي الامكان ويدعى كل واحد[٧] في جهة الاستدلال ضرورة وبديهة.

وانا اقول ما شهد به الحدوث او دل عليه الامكان بعد تقديم المقدمات دون ما شهدت به الفطرة الانسانية من احتياج في ذاته الى مدبر هو منتهى[٨] الحاجات فيرغب اليه ولا يرغب عنه ويستغنى به ولا يستغنى عنه ويتوجه اليه ولا يعرض عنه ويفزع[١] اليه في الشدايد والمهمات فان احتياج نفسه اوضح له من احتياج الممكن الخارج الى الواجب[٢] والحادث الى المحدث وعن هذا[٣] كانت تعريفاته الخلق[٤] سبحانه في هذا التنزيل على هذا المنهاج امن[٥] يجيب المضطر اذا دعاه امن[٥] ينجيكم من ظلمات البر[٦] امن يرزقكم من السماء والارض امن يبدأ الخلق ثم يعيده وعن هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى الخلق[٧] على معرفته فاجتالهم الشيطان عنها فتلك المعرفة هي ضرورة الاحتياج وذلك الاجتيال من الشياطين هو تسويله الاستغناء ونفي الاحتياج والرسل مبعوثون لتذكير وضع الفطرة وتطهيرها عن تسويل[٨] الشيطان[٩] فانهم الباقون[١٠] على اصل الفطرة وما كان له[١١] عليهم من سلطان وقال[١٢] فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ ٱلذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى وقوله[١٢] فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ومن رحل الى

---

٧) ب ز منها — ٨) ب ز تطلب

١٦٠ — ١) ب القزع — ٢) ب الموجب — ٣) ب ز المعنى — ٤) ب تعريفات الحق — ٥) ب ام — ٦) ف ز والبحر — ٧) ب العباد ف الانسان — ٨) ب تسويلات — ٩) ف الشياطين — ١٠) ف باقون — ١١) ف لهم — ١٢) ب ف سورة ٨٧, ٩ ا ـ الذكرى — ١٣) ٢٠, ٤٩ —

الله[١٤] قربت[١٥] مسافته حيث رجع الى نفسه ادنى رجوع فعرف احتياجه اليه في تكوينه وبقايه وتقلبه في احواله وانحايه ثم استبصر في آيات الافاق[١٦] الى آيات الانفس ثم استشهد به على الملكوت لا[١٥] بالملكوت
١٦١ عليه[١] أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ عرفت الاشياء بربي وما عرفت ربي بالاشياء ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ومن تعالى الى ذروة الحقيقة لم يخف من حط فثبت بالدلايل والشواهد ان العالم لا يتعطل عن الصانع الحكيم القادر العليم سبحانه وتقدس

واما *تعطيل الصانع عن الصنع* فقد[٢] ذهب وهم[٢] الدهرية القايلين بقدم[٢] العالم الى ان الحكم بعدم العالم في الازل تعطيل الصانع عن الصنع وقد سبق[٤] الرد عليهم بان الايجاد قد تحقق حيث تصور الايجاد وحيث ما لم يتصور لم يكن تعطيلا وكما ان[٥] التعطيل ممتنع كذلك[٥] التعليل ممتنع وانتم عللتم[٦] وجود العالم بوجوده[٧] وسميتم معبودكم[٨] علة ومبدأ وموجباً[٩] وذلك يودي الى امرين محالين احدهما بثبوت المناسبة بين العلة والمعلول وقد سبق تقريره والثاني ان العلة توجب معلولها لذاتها[١٠] والقصد الاول وجود[١١] العالم من لوازم وجوده[١١] بالقصد الاول فان العالي لا يريد امرا لاجل الاسفل[١٢] فبطل ايضاً التعليل وهذا من الالزامات المفحمة التي لا جواب عنها

---

١٤) ب ز عن رحل — ١٥) ف ـ — ١٦) راجع الى سورة ٤١ , ٥٣

١٦١ — ١) سورة ٤١ . ٥٣ — ٢) ب ذهبت — ٣) ب ف بعدم — ٤) ف تبين — ٥) ف ـ — ٦) ف حللتم — ٧) ف بوجود — ٨) ف وجودكم — ٩) ب محو — ١٠) ب ف بذاتها — ١١) ف زلا — ١٢) ب محو وبعدا الباقي ف السافل

١٦٢ اما تعطيل الباري سبحنه عن الصفات الذاتية والمعنوية وعن الاسماء والاحكام فذلك مذهب الالهيين من الفلاسفة فانهم قالوا واجب الوجود لذاته واحد من كل وجه فلا يجوز ان يكون لذاته مبادئ تجتمع فيتقدم واجب الوجود لا اجزاء كمية ولا اجزاء حد سواء كانت كالمادة والصورة او كانت على وجه اخر بان يكون اجزاء القول الشارح لمعنى اسمه ويدل كل واحد منهما على شيء هو في الوجود غير الاخر بذاته وذلك لان ما هذا صفته فذات كل واحد منه ليس ذات الاخر ولا ذات المجتمع وانما تعينه واجب بالذات فليس يقتضي معنى اخر سوى وجوده وان وصف بصفة فليس يقتضي ذلك معنى غير ذاته واعتباراً ووجهاً غير وجوده بل الصفات كلها اما اضافية كقولنا مبدأ العالم وعلة العقل كما تقولون خالق ورازق واما سلبية كقولنا واحد اي ليس بمتكثر وعقل اي مجرد عن المادة وقد يكون تركيبه من اضافة وسلب كقولنا حكيم مريد وسيأتي شرح ذلك في كتاب الصفات فالزم عليهم مناقضات

١٦٣ منها انهم اطلقوا لفظ الوجود على الواجب بذاته وعلى الواجب لغيره شمولاً وعموماً على سبيل الاشتراك ثم خصصوا احد الوجودين بالوجوب والثاني بالجواز ومن المعلوم ان الوجوب لم يدخل في معنى الوجود حتى يتصور الوجود فهذا اذاً معنى اخر وراء الوجود والمعنيان وان اتحدا في الخارج من الذهن فقد تمايزا في العقل مثل العرضية واللونية

١٦٢ — ١) ب فيتصور منها — ٢) ب حد ف جز — ٣...٣) ف ـ —
٤) ب ز مثلا — ٥) ب ف تركيب — ٦) ب مسئلة
١٦٣ — ١) ف ز لا — ٢) ف بالوجود

وليس يغني[٣] عن هذا الالزام قولهم اطلاق لفظ الوجوب[٤] على الواجب بذاته والجايز لذاته بالتشكيك اي هو في احدهما اولى واول وفي الثاني[٥] لا اولى ولا اول اذ الاولى والاول فصل اخر تميز بـه احد الوجودين عن الثاني وذلك يوكد الالزام ولا يدفعه

ومن الالزامات كونه مبدأ وعلة وعاقلًا ومعقولًا[٦] فان اعتبار كونه واجب الوجود لذاته لا يفيد اعتبار كونه مبدأ وعلة واعتبار كونه مبدأ وعلة لا يفيد اعتبار كونه عقلًا وعاقلًا ومعقولًا فان ساغ لكم الحكم بتكثير الاعتبارات ساغ للمتكلم اثبات الصفات وتعطيله عن الصفات تعطيل عن الاعتبارات[٧] واما تعطيل الباري عن الصفات والاسماء والاحكام ازلًا وابدًا[٧] وما صار اليـه صاير الا شرذمة من قدماء الحكماء قالوا ان المبدع الاول انية ازلية وهو قبل ١٦٤ الابداع عديم الاسم فلسنا ندرك[١] له اسماً في[٢] نحو ذاته وانما اسماوه من نحو[٣] اثاره وافاعيله وابدع[٤] الذي ابدع ولا صورة له عنده في الذات اي لا علم ولا معلوم وانما العلم والمعلوم في المعلول الاول الذي هو العنصر[٥] فهم المعطلة حقاً ونقل عن بعض الحكماء انهم قالوا هو هو ولا نقول موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ولا مريـد ولا كاره ولا متكلم ولا ساكت وكذلك ساير الاسماء والصفات وينسب هذا المذهب الى الغالية من الشيعة والباطنية ولا شك ان من اثبت صانعاً لم يكن له[٦] بد من عبارة عنه وذكر[٦] اسم

---

٣) ا ـ — ٤) ب الوجود — ٥) ف ـ — ٦) ب ف ز وعقلا — ٧...٧) ب ف ـ
١٦٤ — ١) ف ـ — ٢) ف من — ٣) ب حيث — ٤) ب وابداع —
٥) ب العنصرى — ٦) ب ـ

له ثم الاشتراك في الاسامي ليس يوجب اشتراكاً في المعاني فهاولاء احترزوا عن اطلاق لفظ الوجود عليه وما اشبهه من الاسماء لاحد امرين احدهما لاعتقادهم ان الاشتراك في الاسم يوجب اشتراكاً في المعنى فيتحقق له[٧] مثل ذلك الوجه والثاني لاعتقادهم ان كل اسم من الاسامي التي تطلق عليه يقابله اسم اخر تقابل التضاد مثل الموجود يقابله المعدوم والعالم يقابله الجاهل والقادر يقابله العاجز فيتحقق له ضد من ذلك الوجه فاحترزوا عن اطلاق لفظ وجودي او عدمي لكيلا[٨] يقعوا في التمثيل والتعطيل ونحن نعلم[٩] بان الاسامي المشتركة ١٦٥ هي التي تختلف حقايقها من حيث المعاني فان اسما الباري تبارك وتعالى انما تتلقى من السمع وقد ورد السمع انه سبحانه عليم قدير حي قيوم سميع بصير لطيف خبير وامرنا ان ندعوه عز وجل باحسن الاسمين المتقابلين كما قال تعالى[١] وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟[٢] ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا[٣] كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ولم[٤] يحترز هذا الاحتراز[٥] البارد ولا تكلف هذا التكلف الشارد

وقالت طائفة منهم السبعة[٦] لا يجوز التعطيل من الاسماء الحسنى ولا يجوز التشبيه بالصفات التي يشترك فيها الخلق فيطلق على الباري سبحانه الوجود وندعوه باحسن الاسماء وهو العليم القدير السميع البصير[٦] الى غير ذلك مما[٧] ورد في التنزيل لكن لا بمعنى الوصف والصفة لان علياً[٨] عليه السلم[٨] كان يقول في توحيده لا يوصف

٧) ب ز ما من دال — ٨) ب اكيلا ف كيلا — ٩) ا وبن علم
١٦٥ — ١) سورة ٧, ١٧٩ — ٢) ف وذر — ٣) ب بما — ٤) ب مما
— ٥) ف ب الاحتراز — ٦) ف ـ — ٧) ف قد — ٨) ف رضه —

بوصف ولا يحد بحد ولا يقدر بمقدار الذي كيف الكيف لا يقال له كيف والذي اين الاين لا يقال له اين لكنا نطلق الاسماء بمعنى الاعطاء فهو موجود بمعنى انه يعطي الوجود وقادر وعالم بمعنى انه واهب العلم[٤] للعالمين والقدرة للقادرين حي بمعنى انه يحيي الموتى قيوم بمعنى انه يقيم
١٦٦ العالم سميع بصير اي خالق السمع والبصر ولا نقول انه عالم لذاته او بعلم بل هو اله العالمين بالذات والعالمين بالعلم وعلى هذا المنهاج يسلكون في اطلاق الاسامي[١] وكذلك الواحد والعليم والقدير وينسب الى محمد بن علي الباقر انه قال[٢] هل سمي[٣] عالما الا انه واهب العلم للعالمين وهل سمى[٣] قادرًا الا لانه واهب القدرة للقادرين وليس هذا قولًا بالتعطيل فانه لم يمنع من اطلاق الاسامي والصفات كمن امتنع وقال ليس بمعدوم ولا موجود ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ولكنه استدل بالقدرة في القادرين على انه قادر وبالعلم في العالمين على انه عالم وبالحيوة في الاحياء على انه حي قيوم واقتصر على ذلك من غير خوض في الصفات بانها لذاته او لمعاني قايمة بذاته كيلا يكون متصرفا في جلاله بفكره العقلي وخياله الوهمي وقد اجتمع[٤] السلف بل الامة[٥] على ان ما دار في الوهم او خطر[٦] في الخيال والفهم فالله سبحنه خالقه ومبدعه ولا محمل لقول علي صلوات الله عليه وسلامه لا يوصف بوصف الا هذا الذي ذكرناه[٧]

---

٩) ف ـ

١٦٦ — ١) ب ز وكان الوجود عندهم يطلق على القويم والحادث بالاشتراك المحض — ٢) انظر كتاب النحل ص ١٤٧ س ١٧ — ٣...٣) ف ـ ا تصحيح في الهامش — ٤) ب اجتمعت — ٥) ف بل لقول علي رضه — ٦) ب حضر — ٧) ب ف ز والله اعلم بالصواب